

دينٌ وتدّين ...
أم علاقـة وطـيدة !!!

بـقـلـمـ الـأـخـتـ أـدـمـاـ حـبـيـبي

فازت بين شـلـةـ من المتسـابـقـينـ منـ الجـنـسـينـ فـيـ سـؤـالـ السـرـعـةـ وـأـعـطـتـ الـجـوـابـ الصـحـيـحـ ،ـ وـجـاءـتـ لـتـرـبـعـ عـلـىـ كـرـسـيـ المـشـتـرـكـينـ مـنـ الفـائـزـينـ فـيـ الـبـرـنـامـجـ التـلـفـزـيـونـيـ الشـهـيرـ "ـ مـنـ سـيـرـبـ الـمـلـيـونـ"ـ الـذـيـ يـشـاهـدـ الـمـلـاـيـنـ مـنـ العـرـبـ حـولـ العـالـمـ بـسـبـبـ الـفـضـائـاتـ .ـ وـفـوجـئـتـ أـنـاـ الـمـشـاهـدـ بـشـبـحـ أـسـودـ يـصـدـعـ الـمـنـصـةـ وـيـلـقـيـ التـحـيـةـ عـلـىـ مـدـيرـ الـبـرـنـامـجـ جـورـجـ قـرـدـاحـيـ وـمـنـ ثـمـ يـتـسـلـقـ الـكـرـسـيـ الـعـالـيـ وـيـجـلـسـ .ـ نـعـمـ إـنـهـ سـيـدـةـ قـدـ خـفـتـ كـلـ مـعـالـمـ شـخـصـيـتـهاـ وـرـاءـ سـتـارـ أـسـودـ مـنـ فـوـقـ إـلـىـ أـسـفـلـ .ـ وـقـدـ غـطـىـ الـحـجـابـ الـوـجـهـ كـلـهـ وـلـمـ يـتـبـيـنـ أـمـامـيـ سـوـىـ تـقـيـنـ تـظـهـرـ مـنـ وـرـائـهـماـ عـيـنـانـ سـوـدـاـوـانـ تـلـمـعـانـ فـيـ الضـوـءـ السـاطـعـ .ـ وـعـلـىـ مـشـهـدـ مـنـ المـتـسـابـقـينـ وـالـجـمـهـورـ الـمـشـجـعـ وـأـمـامـ عـدـسـاتـ الـكـامـيـراـ وـالـمـصـوـرـيـنـ ،ـ وـأـمـامـ مـلـاـيـنـ الـمـشـاهـدـيـنـ لـلـرـأـيـ ،ـ طـلـعـتـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـرـأـةـ مـنـ وـرـاءـ الـحـجـابـ وـالـعـبـاءـةـ تـتـكـلـمـ وـتـجـيـبـ ،ـ تـرـىـ وـتـسـمـعـ كـلـ شـيـءـ أـمـاـ نـحـنـ فـلاـ نـرـىـ شـيـئـاـ .ـ

وـقـلـتـ فـيـ نـفـسـيـ إـذـاـ لـمـ تـكـنـ تـرـيـدـ الـظـهـورـ أـمـامـ النـاسـ فـلـمـاـ اـخـتـارـتـ بـالـذـاتـ وـسـيـلـةـ الـإـعـلـامـ الـمـرـئـيـةـ وـلـيـسـ الـمـسـمـوـعـةـ؟ـ وـتـسـاءـلـتـ أـيـضاـ تـرـىـ كـيـفـ سـمـحـتـ لـنـفـسـهاـ بـرـؤـيـةـ الـجـمـعـ رـجـالـاـ وـنـسـاءـ مـنـ الـجـمـهـورـ وـالـمـتـسـابـقـينـ ،ـ بـيـنـماـ مـنـعـتـنـاـ نـحـنـ مـنـ حـقـ رـؤـيـةـ شـكـلـهـاـ وـحـقـيـقـةـ شـخـصـيـتـهاـ الـتـيـ حـجـبـتـاـ عـنـ الـأـنـظـارـ؟ـ وـبـقـيـنـاـ فـيـ جـهـلـ مـطـبـقـ عـنـ مـعـالـمـ شـخـصـيـةـ الـمـتـسـابـقـةـ هـذـهـ ،ـ وـكـذـاـ ظـلـ مـدـيرـ الـبـرـنـامـجـ الـذـيـ كـانـ يـوـجـهـ إـلـيـهـ سـؤـالـاـ بـعـدـ الـآخـرـ .ـ أـمـاـ كـانـ مـنـ الـأـفـضـلـ لـهـذـهـ الـمـرـأـةـ الـمـحـوـبـةـ عـنـ مجـتمـعـ الـإـنـسـانـ ،ـ أـنـ تـخـتـارـ وـسـيـلـةـ إـعـلـامـ أـخـرىـ مـحـوـبـةـ هـيـ أـيـضاـ مـثـلـهـاـ عـنـ الـأـنـظـارـ؟ـ

لـمـ يـحـصـلـ هـذـاـ أـمـامـ الرـأـيـ فـحـسـبـ لـكـنـ وـجـهـاـ إـلـىـ وـجـهـاـ إـذـ أـخـبـرـتـيـ صـدـيقـتـيـ ذـاتـ يـوـمـ بـأـنـهـ اـحـتـاجـتـ فـيـ إـحـدـىـ الـمـراتـ لـكـيـ تـعـاـيـنـ مـنـ قـبـلـ أـحـدـ الـأـطـبـاءـ وـكـانـ نـصـيـبـهـ إـحـدـىـ الطـبـيـبـاتـ الـمـنـاـوـبـاتـ فـيـ الـمـسـتـشـفـيـ .ـ وـلـمـ دـخـلـتـ عـلـيـهـاـ الـطـبـيـبـةـ لـكـيـ تـكـشـفـ عـلـيـهـاـ ،ـ فـوـجـئـتـ لـأـنـهـاـ لـمـ تـقـرـ أـنـ تـرـىـ مـنـهـاـ شـيـئـاـ إـذـ كـانـتـ تـضـعـ عـلـىـ وـجـهـهـاـ الـخـمـارـ الـأـسـوـدـ وـالـعـبـاءـةـ تـغـطـيـ جـسـدهـاـ مـنـ أـعـلـىـ إـلـىـ أـسـفـلـ .ـ عـنـدـهـاـ اـعـتـرـضـتـ صـدـيقـتـيـ وـمـنـعـتـهـاـ مـنـ الـكـشـفـ عـلـيـهـاـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ وـجـعـهـاـ وـأـلـمـهـاـ .ـ وـلـمـ اـسـتـغـرـبـتـ هـذـهـ الطـبـيـبـةـ قـالـتـ لـهـاـ صـدـيقـتـيـ:ـ كـيـفـ تـسـمـحـيـنـ لـنـفـسـكـ بـأـنـ تـكـشـفـيـ عـلـىـ جـسـديـ كـلـهـ وـأـنـتـ لـاـ تـسـمـحـيـنـ لـيـ حـتـىـ بـرـؤـيـةـ وـجـهـكـ؟ـ!ـ وـمـاـ أـدـرـانـيـ إـنـ كـنـتـ رـجـالـاـ مـتـخـفـيـاـ ،ـ أـنـكـ حـقـاـ إـمـرـأـ كـمـاـ تـدـعـيـنـ؟ـ نـعـمـ ،ـ وـأـكـرـرـ أـنـاـ لـأـقـولـ وـمـاـ أـدـرـانـاـ يـاـ قـرـائـيـ مـنـ الـمـتـخـفـيـ حـقـاـ وـرـاءـ هـذـاـ سـتـارـ؟ـ

فـيـ هـذـاـ الصـدـدـ تـكـلـمـ الـبـاحـثـةـ الـأـكـادـيمـيـةـ وـالـكـاتـبـةـ الـيـمنـيـةـ إـلـهـامـ مـانـعـ وـأـسـتـاذـةـ الـعـلـومـ السـيـاسـيـةـ فـيـ جـامـعـةـ زـوـريـخـ السـوـيـسـيـةـ لـلـعـرـبـيـةـ نـيـتـ قـائلـةـ:ـ إـنـهـاـ تـفـرـقـ دـائـمـاـ بـيـنـ الـإـيمـانـ بـالـلـهـ وـالـرـوـحـانـيـةـ الـمـرـتـبـةـ بـالـدـيـنـ وـأـمـرـ آخـرـ هوـ الـشـكـلـيـاتـ الـتـيـ صـارـتـ الـأـسـاسـ لـكـلـ شـيـءـ .ـ وـتـسـاءـلـتـ عـنـ الـعـلـاقـةـ أـصـلـاـ بـيـنـ "ـ قـطـعـةـ قـمـاشـ"ـ وـالـإـيمـانـ بـالـخـالـقـ الـذـيـ مـنـ الـعـقـلـ لـيـفـكـرـ وـيـعـبـرـ عـنـ رـأـيـهـ .ـ كـمـاـ أـوـضـحـتـ هـذـهـ

الكاتبة اليمنية قائلة: المرأة ليست عورة وإنما إنسانة قادرة على التصرف بصورة لصيقة بالفضيلة و "قطعة القماش" لا تحدّ من أنا بل السلوك هو الذي يحدد. وأن الأوّل أن نبحث في عالمنا العربي عن الحل وهو العقل الهاية من الله. وأضافت: إن قولنا خلع الحجاب يجلب الإثارة الجنسية عند الرجل هذا افتراض أنَّ الرجل مسيِّر بغرائزه وميوله. لكن الرجل ليس هكذا لأنَّه إنسان عقلاني وقدر على التعامل مع المرأة ككيان له عقل. وتتابع الدكتورة إلهام لتقول: "وإنَّ الدعوة لخلع الحجاب لا أعني بها أن تمشي المرأة عارية بل يجب أن تكون محشمة وتبتعد عن الأشكال الفاضحة. إنَّي أحترم قرار النساء و اختيارهن ولكن حان الوقت أن يأتي من يقول إنَّ هذا ليس جزءاً من الدين. فهذه مظاهر اجتماعية تدعو إلىأخذ القشور وترك الجوهر. فما هو الأهم أن أغطي شعري أم أن أدرس وأعمل؟ وما هو الأفضل الحديث عن كيف نأكل أو نتحدث عن الفساد ونجد في إيجاد حلٍ له؟ فالواحد منا يتحدث عن الدين والأخلاق ثم يعتدي على جيرانه بالأقوال والأفعال غير اللائقة".

بيت من الشعر يخطر على بالي في هذا المنحى من الكلام يقول فيه الشاعر واصفاً امرأةً محجوبة عن النظر لكنَّها كانت بمثابة فخ للإغراء في الفكر والخيال لناسكِ متبعٌ :

قلْ للمليحةِ بالخمارِ الأسودِ

ماذا فعلتِ بناسكِ متبعٌ...

أجل، إنَّ مصدرَ الشر هو الداخل وليس الخارج، هو الباطن المستتر وليس الظاهر. قال رب يسوع المسيح مرّة: ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر. وذلك ينجس الإنسان. لأنَّ من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى فسوق شهادة زور تجنيف. هذه هي التي تنجس الإنسان. (متى ١٥: ١٨ و ١٩)

فإلام ننخفى وراءَ اللباس ، وحتى متى نتغنى بالحشمة الظاهرة؟ بينما العقلُ والقلب هما في وادٍ آخر؟ نعم حتى متى سنبقى متزررين بأوراقَ التين لنعطيه عرينا تماماً كما فعل منذ فجر التاريخ أبوانا الأولان آدم وحواء؟ إنَّ صوتَ الله لا يزال ينادي حتى الآن قائلاً: آدم آدم أين أنت؟

ولو استطاع آدم أن يصل إلى سترِ عريه لما جاءه الله بأقصصه من جلد ليلبسه وزوجته. وما تاريخ علاقة الله مع الإنسان التي ذُوّنت بالروح القدس في أسفار التوراة وكتب العهد القديم إلا دليلٌ قاطع على فشل الإنسان وعجزه في تطبيق الناموس والثبات في وصايا الله وشرائعه. كما يقول الروح القدس على لسان النبي داود: الكل قد زاغوا معاً فسدوا ليس من يعمل صلحاً ليس ولا واحد. (مزמור ٤٣: ١٤) فكيف إذن ننطهرُ من عيوبنا الكامنة في قلوبنا؟ هذه "المستنقعات الآسنة" بحسب وصف ميخائيل نعيمة هي التي تحتاج إلى التغيير. لذلك يقول الروح القدس على لسان النبي والملك سليمان: يا ابني أعطني قلبك، ولتلحظ عيناك طرقـي.

(أمثال ٢٣: ٢٦)

لقد أجاب على هذا السؤال بولس أحد رسل المسيحية الأوائل بالروح القدس فقال: "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت هونا الكل قد صار جديدا". (كورنثوس ٥: ١٧) أي عندما نؤمن بيسوع المسيح المخلص يتغير القلب و يتجدد الداخل، لأن الله يغيّرنا و يمنحك قوة جديدة لكي تتغلّب على الخطية. وهكذا تعود علاقتنا حميمةً بيننا وبين الله الآب. وعندما فقط تتضَّح إلى الخارج ثمارُ الروح القدس التي هي محبة فرح سلام طول أيام لطف صلاح إيمان وداعمة وتعفة.

إذن مهما تحشّم البشر أو تعطّوا، أو صاموا و صلوا وقدموا صدقات وعملوا الصالحات، فستبقى هذه كلها قشوراً لا تمتُّ إلى العمق بصلة، وخرقاً بالية لا قيمة لها أمام الله . أمّا وقد عرفنا الآن أن الدين أو التدين لا ينفعانِ بل تغيير القلب من الداخل بواسطة روح الله القدس، والعودة إلى الشركة الحية مع الله، والعلاقة المتنية، فهل نتوقُ لكي نأتي بالإيمان إلى الله بواسطة يسوع المسيح المخلص؟ **فنستعيد شركتنا المقطوعة ونتمتع بعلاقة وطيدة معه تعالى؟ هذا هو يا قارئي التحدى الأكبر.**